كيف أبحرتْ؟

مباركة بنت البراء

أُلقيتْ هذه القصيدة في الحفل الذي أقامته التلفزة الموريتانية للشاعر الفلسطيني محمود درويش مساء 93/4/14 في نواكشوط.

قدر أن تعود ماذا أقول
أفض لي بالحديث كيف الوصول
كيف أبحرت أين حطّت مراسيـ
ـك؟ كيف كان النوى وكيف السبيل؟
والبلاد التي حملت جهاداً
كيف أطفالها؟ وكيف الحقول؟
أطويت الأيام لا أنس إلا
صخب الموج والرياح دليل؟
حاملاً سفرك العظيم ودرب
بك يسمو وتستمد سهول؟
أفض لي بالحديث كلي سماع
وحديث اللقاء حديث يطول!

* * *

ما اسمها هذه التي ظلت الحلـ
ـم وظلت عناقها المستحيل
ما اسمها هذه التي ظل يفنى
في هواها جيل ويولد جيل؟
وحرقت الزمان تلهث شوقاً
للقاها؛ والذكريات مثول:
عبق من دم الشهيد، وأمّ
ترقب النجم، قاتل وقتيل
وبقايا من المواويل غنى
نخبها في الهزيع صوت كليل
كل أشعارك الجميلة ذابت
قطعا في عيونها تستنيل
وتروّي الثرى دماك، ويجني
ودّها الناعم الدعيّ العميل
وتحول العهود، يختنق الحب
وتبقى مرابطا لا تحول
«داخلا في علاقة الأرض بالأر
ضِ كما تدخل الفصول الفصول»
كلما أعدموا جوازك سدّوا
سبل السفر قلت: طاب الرحيل

* * *

هو ذا أنت حامل وجع الأر
ض بين جنبيك غزةٌ والجليل
هو ذا أنت لا الصحائف غطت
كل مقهى ولا الكلام الفضول
فوق هذي الرمال روّحْ قليلا
لك يزهو قتادها والنخيل
وتحدث إلى الكرام بنيها
في زمان به الكرام قليل